جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

مِنْ مَظَاهِرِ الاِقْتِصَادِ اللُّغَوِيِّ
فِي سُورَةِ البَقَرَةِ
" دِرَاسَةٌ وَصْفِيَّةٌ نَحْوِيَّةٌ"

إعداد
د. نُجُود إِسْمَاعِيل العَنْزِيّ.
أُسْتَاذُ النَّحْوِ والصَّرْفِ المُسَاعِد، قِسْمِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ
كُلِّيَّةُ التَّرْبِيَةِ والآدَاب، جَامِعَةُ تَبُوك،
المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّة.

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

مِنْ مَظَاهِرِ الإِقْتِصَادِ اللُّغَوِيِّ في سُورَةِ البَقَرَةِ " دِرَاسَةٌ وَصْفِيَّةٌ نَحْوِيَّةٌ"

نُجُود إِسْمَاعِيل العَنْزِيّ.

قِسْم اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، كُلِّيَّةُ التَّرْبِيَةِ والآدَابِ، جَامِعَةُ تَبُوك، المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ.

البريدالالكترو ني:nujud120@ut.edu.sa

الملخص:"

الإِقْتِصَادُ اللُّغَوِيُّ مِنَ السِّمَاتِ المُمَيِّزَةِ لِلُغَتِنَا العَرَبِيَّةِ التي تُمَيِّزها عَنِ اللُّغَاتِ الأُخْرَى، وقَدِ اِسْتَخْدَمَهُ عُلَمَاءُ العَرَبِيَّةِ، كَثِيرًا، دُونَ عَدِّهِ مُصْطَلَحًا مُنْفَرِدًا؛ كَدَأْبِهِم في الاستِعْمالِ دُونَ الاصطِلَاحِ، وإِنْ كَانَتْ لهُم طرَائِقُ قِدَدٌ في التَّعْبِيرِ عَنْهُ؛ بُغيَةَ الاقْتِصَادِ في الوَقْتِ وَالجُهْدِ، بِعَدَمِ اِطَالَةِ الكَلَامِ مع الوفاءِ بِالمَعْنَى دُونَ خَلَلٍ. ومن ثَمَّ؛ توجَّهَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ؛ فيمَّا توجَّهتْ إِلَيهِ غَيرُها، أَيضًا؛ لِخُطُورةِ الظَّاهِرَةِ، إلى الوُقُوفِ عليها بِزاوِيَةِ نظَرٍ مُختلفَةٍ؛ إِذْ وَضَعَتْ الإِقْتِصَادَ اللُّغَوِيَّ بِالْحَذْفِ في سُورَةِ البَقَرَةِ تَمثيلًا نَحويًّا يُمكِنُ من خِلَالِهِ تَتبُّعِ الآلِيَّاتِ والنَّتائِجَ؛ وهُوَ ما اَستلْزَمَ أَنْ تَنْهَجَ الدِّرَاسَةُ مَنْهَجًا وَصْفِيًّا تَحْلِيلِيًّا؛ للظّفرِ بِنتَائِجَ جَرَّاءَ الرَّصْدِ والتّعقُّبِ والتَّحْلِيلِ؛ فَكَانَ مِن ثِمَارِ ذلكَ نَتَائِجُ لَافِتَةٌ، يُمكِنُ اِختِزَالُها، هُنَا، في كَونِ الإِقْتِصَادِ اللُّغَوِيّ مِنَ الثَّوَابِتِ النَّحْوِيَّةِ التي تَرْتَكِزُ عَلَيهَا لُغَتُنا العَرَبِيَّةُ؛ لأَنَّها، بِطَبِيعَتِهَا الاِستِعْمَالِيَّةِ، لُغَةُ إِيجَازٍ واِخْتِصَارٍ، وقَدْ كَشَفَتْ دِرَاسَةُ العَيِّنَةِ المُخْتَارَةِ صُوَرَ هذَا الإِقْتِصَادِ اللُّغَوِيّ بالحَذْفِ وآلِيَّاتِهِ المتَعَدِّدَةِ؛ كَحَذْفِ الأَخْبارِ، والمَفَاعِيلِ، والمَصَادِرِ، والمُضَافِينَ، وغَيرِها ؛ مِمَّا أَحْدَثَ أَثَرًا نَحْوِيًّا جَمَالِيًّا في التَّرَاكِيبِ والدّلَالَاتِ.

الكَلِمَاتُ المِفْتَاحِيَّة: الإِقْتِصَادُ اللُّغَوِيّ، الحَذْفُ، المَقَاصِدُ،مَظَاهِرُ، التَّرَكِيبُ، الدَّلَالَةُ.

One of the manifestations of linguistic economy in Surat Al-Baqarah
"A descriptive grammatical study"

Nujoud Ismail Al-Anzi .

Department of Arabic Language College of Education and Arts, University of Tabuk, Kingdom of Saudi Arabia.

Email: nujud120@ut.edu.sa

Abstract:

Linguistic economy is one of the distinctive features of our Arabic language that distinguishes it from other languages. Arabic scholars have used it frequently, without considering it a term alone; It is the same as their habit of using it without convention, even though they have great ways of expressing it. In order to save time and effort, by not prolonging the speech while adhering to the meaning without error. and then; This study was aimed at: As for others, too phenomenon: Due to the seriousness of the, one has to stand on it from a different angle of view. It established the linguistic economy of deletion in Surat Al-Baqarah as a grammatical representation through which it is possible to trace the mechanisms and results. This necessitated the study to adopt a descriptive and analytical approach. To achieve results as a result of monitoring, tracking and analysis; Among the fruits of this were remarkable results, which can be summarized, here, in the fact that linguistic economy is one of the grammatical constants on which our Arabic language is based. Because, by its usage nature, it is a language of brevity and abbreviation, and the study of the selected sample revealed images of this linguistic economy of deletion and its multiple mechanisms; Such as deleting predicates, objects, infinitives, additions, and others. Which created an aesthetic grammatical effect on the structures and connotations.

Keywords: Linguistic Economy, Deletion, Purposes, Manifestations, Structure, Connotation.

مقدّمةٌ

تعدّ لغتنا العربيّة إحدى اللّغات الأكثر شيوعًا واستخدامًا، وأوسعها صوتيًّا وتعبيريًّا، وأخصبها دلالةً وفكرًا وشعورًا؛ لما تزخر به من شعريّةٍ، أفاض فيها الباحثون الّذين ردّوا بعض أسباب هذه المزايا لكونها لغةً مرنةً حيّةً نابضةً متدفّقةً في كلّ زمانٍ ومكانٍ على ألسنة المتحدّثين بها، وكفاها تشريفًا أنّها لغة القرآن الكريم، ومصدر علوم العرب المختلفة التي سادوا بها الدّنيا ردحًا من الزمن؛ فميّزت هويّتهم بخصائصها النّاجمة عن أنظمتها الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة، والدّلاليّة.

ولعلّ أهمّ هذه الخصائص المميّزة الاقتصاد اللّغويّ بالحذف والاختصار صدًى للطّبع العربيّ الّذي يؤثر الإيجاز ويألفه، مع اضطراره إلى الإطناب في حالاتٍ أخرى تناسب مقامه؛ فآثروا السّهولة في السّهل، والسّموّ في السّماء[1].

ولعلّ ملاحظة هذه الخصيصة هو ما دفعني للتّفتيش وراءها؛ فرأيت أنها أثرٌ من آثار إعجابهم بما ورد في كتاب الله ﷻ؛ فوددت الإسهام بسهمٍ من الدّرس النّحويّ؛ فاخترت سورة البقرةً تمثيلًا دالًّا لهذه الظّاهرة، وتتبّعت مواضعها وصفًا وتحليلًا؛ لذا وسمت هذا البحث بـ "من مظاهر الاقتصاد اللغويّ في سورة البقرة: دراسةٌ وصفيّةٌ نحويّةٌ"؛ بغية الكشف عن آليّات الحذف ومظاهره في التّراكيب، وما أثمر عنه من دلالاتٍ .

وفي ظني أنّ الاقتصاد اللغويّ لم ينل بعد ما يستحقّه من الدّراسات اللغويّة، وبخاصّةٍ النّحويّة والقرآنيّة، ومن الدّراسات السابقة للاقتصاد اللغويّ التي يجب الإشارة إليها هنا:

---

١ – ينظر، المبارك، محمد، فقه اللّغة وخصائص العربيّة، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، د ط، د ت، ٣٠٢.

١- قاسي، صونيا، ربوح، حياة، جماليّات الاقتصاد اللغويّ في القرآن الكريم، "سورة القصص أنموذجًا"، جامعة البويرة كلّيّة الآداب واللّغات، الجزائر، ٢٠٢٠م.
٢- سلمان، سرحان جفّات، عبّود، عليّ جبر ، الاقتصاد اللّغويّ في لغة الخبر: أخبار الشّعراء أنموذجًا"، مجلّة القادسيّة في الآداب والعلوم التّربويّة، العدد ٣، مج١، جامعة القادسيّة، كلّيّة التّربية، قسم اللغة العربيّة، العراق، ٢٠٢٠م.
٣- براهميّة، نور الهدى، وبراهميّة، خولة، مظاهر الاقتصاد اللغويّ في الخطاب النّبويّ- خطبة حجّة الوداع أنموذجًا، جامعة 8 ماي، كلّيّة الآداب واللّغات، ٢٠٢٠م.
٤- بوسالمي، عطاء الله، ظاهرة الاقتصاد اللغويّ في الدّرس اللغويّ العربي، المركز الجامعيّ الشريف بوشوشة آفلو الأغواط كلّيّة الآداب واللّغات، الجزائر، ٢٠٢٣م .

ومع تسليمنا بأن هذه الدّراسات السّابقة وغيرها اتخذت من الاقتصاد اللّغويّ منطلقًا لها؛ فإنّ دراستي هذه تختلف عمّا سبقها في أنّه لم يسبق لغيرها البحث عن مكامن الاقتصاد اللغويّ في ميدانها؛ أعني سورة البقرة، بل استهدفت الدّراسات السّابقة بعض الأحاديث النبويّة، والأخبار النّثريّة، وبعض سور القرآن الأخرى بشكلٍ محدودٍ لاتّساع ميدان بحثها؛ إذ امتد مجالها إلى كل سور القصص في القرآن الكريم.

ولعلّ أهمّيّة هذه الدّراسات المتنوّعة، ومنها دراستي هذه، تكمن في سعيها لتحقيق مراميها في إثراء الخزائن العربيّة بالأبحاث العلميّة المعالجة لموضوع الاقتصاد اللغويّ في اللغة العربيّة عامّةً، وفي كتاب اللهﷻ، خاصّةً؛ وذلك باستثمّار سماتها الاقتصاديّة، وخصائصها اللغويّة المرنة في معالجة العلوم الحديثة والمعاصرة.

وستنحو دراستنا نحو تقصّي بدايات معرفة العلماء العرب، والنّحويّين منهم خاصّةً، لمفهوم الاقتصاد اللغويّ قديمًا، بغية الكشف عن مظاهر الاقتصاد اللغويّ بالحذف في سورة البقرة، بالإضافة إلى السعي نحو إبراز الجماليّات النّحويّة للاقتصاد اللغويّ منطلقين في ذلك كلّه من شواهد قرآنيّة في سورة البقرة دون تجاوزها.

ومن ثمّ ؛ تنطلق الدّراسة من إشكالٍ رئيسٍ توضّحه التّساؤلات الآتية:

كيف تعدّدت مظاهر الاقتصاد اللغويّ بالحذف في سورة البقرة؟

وقد انبثقت من هذا التّساؤل عدّة تساؤلاتٍ فرعيّةٍ تؤكّد الفكرة وتوضّح أهدافها؛ وهي:

١- كيف أشار علماء العرب قديمًا إلى مفهوم الاقتصاد اللغويّ؟

٢- ما الغاية من أسلوب الاقتصاد اللغويّ، وما أهدافه المبتغاة؟

٣- أين تكمن مظاهر الاقتصاد اللغويّ بالحذف في سورة البقرة؟

٤- ما هي جماليّات النّحويّة للاقتصاد اللغويّ بالحذف خاصّةً في سورة البقرة؟

ولأنّ الدّراسة تسعى إلى وصف الشّواهد نحويًّا وتركيبيًّا، سعيًا نحو تحليلها للوصول إلى التّغيّر الدلاليّ كان المنهج الوصفيّ التّحليليّ هو أقرب المناهج التي تناسب طبيعتها وأهدافها، من أجل تحقيق النتائج المستهدفة، واستيفاء مراميها المأمولة.

وقد اقتضت طبيعة هذه الدّراسة أن تكون في مقدّمةٍ ومبحثين، ثمّ خاتمةٍ تتضمّن أهمّ النتائج التي انتهت إليها، ويمكنني عرضها بشكلٍ مفصّل على النّحو الآتي:

- **المقدّمة:** تحتوي الإشارة إلى أهمّ الدّراسات السّابقة، وأهمّية هذه الدّراسة بينها، وأهدافها، وتساؤلاتها، ومنهجها، وحدودها، ومخطّطها.
- **المبحث الأوّل:** خصّص لتحديد ماهيّة الاقتصاد اللغويّ، وكيفيّة معرفة العرب قديمًا إيّاه، ومدى حداثة المصطلح، وغايته. وطرائق العرب القدامى

في التّعبير عنه قديمًا. وأنواع هذا الاقتصاد، ومفهوم مقاصده اللغويّة، ومظاهرها وثمارها.

- **المبحث الثّاني:** مواضع الاقتصاد اللغويّ بالحذف في سورة البقرة، وقد اقتصرت على أربعة مطالب؛ هي صوره وآليّاته:
- المطلب الأوّل: الاقتصاد بآليّة حذف الخبر.
- المطلب الثّاني: آليّة حذف المفعول: صورها ودلالاتها.
- المطلب الثّالث: حذف المصدر: الشّيوع والمقاصد .
- المطلب الرابع: حذف المضاف واتّساع الدّلالة.
- **الخاتمة:** خصّصت بطبيعتها لأهمّ النتائج التي أثمرتها الدّراسة، وأردفتها بقائمة المصادر والمراجع التي استعنت بها في مواضعها من الدّراسة.

وقد اخترت سورة البقرة ميدانًا لشواهد الدّراسة؛ خدمةً لكتاب الله، ﷻ، وكفى بكلام الله ﷻ شرفًا وفضلًا وعلوًّا. ولفرضيّة تضمين سورة البقرة مواضع متعدّدةً من الاقتصاد اللغويّ لم تسبق دراستها، حسب ما أعلم؛ كما أسلفت.

وقد اقتصرت على بعض مواضع الحذف من الاقتصاد اللغويّ؛ اتّساقًا مع هذه الدّراسة النّحويّة، ومن مواضع الاقتصاد اللغويّ بالحذف للخبر، أو المفعول، أو المصدر، أو المضاف؛ فوصلت شواهد ذلك كلّه إلى اثني عشر موضعًا؛ وهو ما يستدعي؛ هنا، ما ذكره ستمبل(٢٠١٠م) بأنّ العيّنات التي تنتمي إلى الأعداد ٦ ،١٢، ١٨، ٢٤،٤٨ تؤدّي إلى نتائج متكافئةٍ[١]، وإن كان استدعاؤنا هذا من باب الاستئناس والدّعم لا من باب التّوكيد والجزم.

١- ينظر ، عبد الحميد، محمد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ط١، عالم الكتب، ٢٠١٠م، ٩٦.

المبحث الأوّل

يحاول هذا المبحث الإجابة عن تساؤلنا في المقدّمة عن ماهيّة الاقتصاد اللغويّ، وكيفيّة معرفة العرب القدماء إيّاه، وبالتّالي يمكننا الحكم عليه من حيث الأصالة والحداثة الاصطلاحيّة، وتحديد غاياته، وطرائق علمائنا القدامى في التّعبير عنه، وأنواعه، ومفهوم مقاصده اللغويّة، ومظاهره، وثمراته.

١/١- ماهيّة الاقتصاد اللغويّ:

السّؤال عن الماهيّة يقتضي منّا عادةً تتبّع سيرة اللّفظ من المعنى المعجميّ إلى المعنى الاصطلاحيّ؛ لذا وجب علينا القيام بذلك بإيجازٍ غير مخلٍّ.

١/١/١- الاقتصاد لغةً:

يعرف الاقتصاد لغويًّا بأنّه مصدر "اقتصد" وقيل: قصد أي: اقتصر وأحجم، والقصد: الهدف[١].

وجاء في اللّسان لابن منظورٍ في مادّة "قصد": أنّ القصد هو استقامة الطّريق. والقصد في الشّيء خلاف الإفراط. ويعنى به الوسط بين التقتير والإسراف[٢]. ووصفه صاحب المعجم الوسيط بأنّه: التّوسّط بالأمر بلا إفراطٍ أو تفريطٍ[٣].

١- ينظر، العبيديّ، خالد فائق صديق، القرآن منهل العلوم.، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، ٣٣٢.

٢- ينظر، ابن منظور، جمال الدّين(ت٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق: رشيد القاضي، ط ١، دار الأبحاث، الجزائر، ٢٠١٢م، مادة:(قصد).

٣- ينظر، مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، د ط، ٢٠٠٤م، مادة:(قصد).

ومن ثمّ؛ فإنّ دلالات الاقتصاد، لغةً، لا تخرج عن الاعتدال، والتّوسّط، والاستقامة في الأمر دون إفراط أو تفريطٍ،كما تعني الاقتصار والتّحديد وتحجيم الأمور.

١/١/٢- الاقتصاد اصطلاحًا:

مصطلح الاقتصاد أو القصد اللغويّ مصطلحٌ مركّبٌ. اجتهد المحدثون والباحثون بضبط مفهومه والوقوف على ماهيّته. فعرّفوه على أنّه التّعبير بالقليل المتناهي عن الكثير غير المتناهي[١].

كما عرف بحذف لفظٍ من أجزاء الجملة مع وجود قرينةٍ تعين المحذوف[٢].وهو عند فخر الدّين قباوة لفظٌ يبلغ المتكلّم به أكبر عددٍ ممكنٍ من الفوائد والمقاصد، بأقلّ جهدٍ ذهنيٍّ[٣]، كما ذهب عبدالرّحمن الحاجّ بأنّه هو ماكان يقصده علماء العرب القدامى بكلمة الاستخفاف؛ يعنون به ميل المتكلّم بطبيعته إلى التقليل من الجهد العضليّ أو الذّاكريّ، عند الحديث في حال الاستئناس دون الانقباض. وبذلك فقد خصه بمقام الأنس، بحيث يكون المتكلّم فيه غنيًّا عنه لإبلاغ قصده ومراده؛ وهو ما يمنح اللغة حيويّتها[٤].

١- ينظر، حسان، تمام، مقالات في اللّغة والأدب، ط١، ط دار الكتب المصريّة، القاهرة، ٢٠٠٦م،٢٩٢/١.

٢- ينظر، الحمزاوي، محمد، المصطلحات اللغوية العربية الحديثة في اللّغة العربيّة، ط١، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٧م،٤١.

٣ – ينظر، قباوة، فخر الدين، الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة ٢٠١١م، ٣١

٤ – ينظر، صالح، عبد الرحمن الحاج، بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر. ٢٠٠٧م، ٦٨/١.

١/١/٣- التّعريف الإجرائيّ للاقتصاد اللّغويّ:

بعد أن توقّفنا أمام سيرة المصطلح لغويًّا واصطلاحيًّا، يمكننا الآن أن نضع تعريفًا إجرائيًّا للاقتصاد اللغويّ يتناسب ومنطلقات هذا البحث وقناعاته؛ لذا يمكن تعريفه بأنّه تحقيق التّعبير، وإيصال المعنى في خطاب القرآن الكريم من خلال التّمثيل من سورة البقرة، عن طريق الحذف والاستغناء، بجهدٍ أقلّ دونما تفريطٍ أو إخلال أو نقصٍ في المعنى.

وبالاستقراء المتكرّر لمواضع هذه الظّاهرة في سورة البقرة وجدتها متعدّدة المظاهر في آياتها المختلفة على اختلاف أنواعه، في مواطن مختلفةٍ؛ تجعلنا نحتكم إليها على أنّها وجهٌ من أوجه الإعجاز؛ لكون اكتساب مفهوم الحذف في القرآن الكريم اصطلاحيًّا الاقتصاد اللغويّ؛ كما أكّدت الدّراسات اللّغويّة المعاصرة أنّ هذا الاقتصاد يمثّل، أيضًا، وجهًا من الوجوه الجماليّة لأسلوب القرآن الكريم[١].

ومن ثمّ؛ فالاقتصاد اللّغويّ أقرب إلى عمليّة اختزالٍ للكلام الطّويل لتكتفي بإيصالها المقاصد المستهدفة. ومع ذلك فإنّه يفسح، في الوقت ذاته، مجالًا أوسع للمعاني والأفكار في أذهان المتلقّين بحسب استعداداتهم لملء الفجوات النّصية التي يحدثها هذا الاختزال أو الاقتصاد؛ ليتمكّنوا من استنباط المحذوف.

ولنا أن نقول إن هذه الظّاهرة الأسلوبيّة تسمح للمبدع بالانزياح عن قوانين اللغة المعياريّة، التي تحاول، بطبعتها ودورها، ضبط النّصّ؛ بحيث لا يخرج عن المعتاد والمألوف [٢].

---

١ – ينظر، سعيد، فضيلة أحمد مشاهد القيامة في القرآن الكريم، دار غيداء للنشر والتّوزيع، القاهرة، ٢٠١٥م، ١٠٠.

٢ – ينظر، تحريشيّ، محمد، النقد والإعجاز: دراسة قرآنية، ط١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م، ٣٣.

ويعدّ ضياء الدّين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) من العلماء القدامى الذين ربطوا تحقّق الاقتصاد اللغويّ بالمعنى المضمر، الذي يقتضيه المعبّر عنه في منزلته[١]. كما ربطه اللّسانيّون بشرط الجهد الأقل[٢]؛ فظاهرة الجهد الأقلّ في اللغة العربيّة مبدأٌ قديمٌ فطن إليه اللّغويّون العرب القدامى؛ إذ قد يلجأ المتكلّم إلى الاقتضاب، والإيجاز، والاقتصار على المطلوب، وقد يكون تجنّبًا للتّعقيد في وسائلهم التّعبيريّة، أو للتّخفيف من الجهد العضليّ أو الفكريّ. وينحو هذا المبدأ اللّغويّ "الاقتصاد" بطرائقه المختلفة، إلى الحدّ من ظواهر الإسراف في القول، والتّبذير في الاستعمال اللغويّ؛ وهو مظهرٌ إيجابيٌّ لا يسيء إلى اللغة. وإنّما يعلّم النّاس طرق الوصول إلى إصابة المعنى، أو المضمون بأقصر وسيلةٍ، وبأقلّ جهدٍ[٣].

وقد عرف مصطلح الاقتصاد اللغويّ عند العرب قديمًا بألفاظٍ مختلفةٍ وبطرقٍ متعدّدةٍ؛ إذ لم يفردوا له أبوابًا مستقلّةً في مؤلّفاتهم؛ فنجدهم يسمّونه، تارةً، بالاختصار، ويسمّونه، تارةً أخرى، بالحذف والإيجاز؛ فنجد سيبويه (ت ١٨٠هـ) يتحدّث عن الحذف في كتابه"الكتاب"؛ فيقول في باب ما يكون في اللّفظ من الأعراض: "اعلم أنّهم قد يحذفون الكلم، وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون، ويعوّضون، ويستغنون بالشّيء عن الشّيء"[٤] وقال الأنباريّ (ت

١ – ينظر، ابن الأثير، ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريّة للطّباعة والنشر، بيروت،١٤٢٠هـ ،١٤٥/٢.

٢ – ينظر، غديري، وردة، سمات الاقتصاد اللغوي "دراسة وصفيّة تحليلية"، رسالة ماجستير، الحاج لخضر باتنة، ٢٠٢٢م، ٤.

٣ – ينظر، الياسريّ، فاخر ، بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي، ، ط١، المنهل للنشر والتّوزيع، الأردن، ٢٠١١م،٥٧.

٤ – سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السّلام هارون،ط٣، دار الجيل، بيروت١٩٨٨م، ١٧٩/١.

٥٧٧هـ) في المقام نفسه "والحذف في كلامهم لدلالة الحال، وكثرة الاستعمال أكثر ممّا يحصى"[١].

ومن ثمّ؛ فقد كانت ظاهرة الاقتصاد اللّغويّ شائعةً في الاستعمال اللّغويّ لدرجةٍ لا يجمعها حصرٌ، كما كانت غاياته عندهم متعدّدةً؛ كما نجد ممّا اقتبسته من بعض أقوالهم في كتبهم هو الابتعاد عن التّكلّف في الكلام؛ فقد تكون لتوفير الجهد العضليّ للمتكلّم، أو لمراعاة مقامات الكلام ، كما قد يكون، من جهةٍ أخرى، للحدّ من الإطالة التي تخلق الملل والضّجر لدى السّامع أو القارئ؛ مشترطين في ذلك أن يحقّق هذا الاقتصاد الوفاء بالمعنى وإيصاله على أكمل وجهٍ دون خللٍ، أو اضطرابٍ أو نقصٍ.

١/٢- أنواع الاقتصاد اللغويّ:

ظهرت أنواع الاقتصاد اللغويّ واضحةً عند موسلر(١٩٧١م)؛ فقد ميّز له ثلاثة أنواعٍ هي:

١- يعني الاقتصاد اللّغويّ في النّظم اللغويّة، الميل إلى استعمال الوسائل اللغويّة؛ للتقليل من الجهد الفيزيقيّ والذّهنيّ اللّازمين لإنتاج الكلام، والعمل على تطوير تلك الوسائل، ويشير هذا النّوع إلى الاقتصاد بالنظام اللغويّ ككلٍّ.

٢- بذل الجهد لتحسين كفاءة الوسائل اللغويّة، ويشير هذا النّوع إلى الاقتصاد في نقل المعلومات والخبرات.

٣- الميل إلى إزالة تباين الأنماط الاجتماعيّة؛ لتحقيق الاستجابات الاتّصاليّة بشكلٍ أفضل[٢]. ويشير إلى التّوسّع الاقتصاديّ عند أبناء اللغة الواحدة.

---

١ - الأنباريّ، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين البصريّين والكوفيّين، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط١، المكتبة العصرية، بيروت،٢٠٠٣م، ٦١/١.

٢ - ينظر، كلوماس، فلوريان، اللّغة والاقتصاد، ترجمة: أحمد عوض، ط١، علم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٠م،٢٧٨.

وتهدف جميعها، مع ذلك، إلى تخفيف الرّتابة والملل في الكلام؛ تقليلًا للجهد في العمليّة التّواصليّة؛ ممّا يعكس مدى حيويّة اللغة وقدرتها على استيعاب الكثير من المعاني، بأقلّ عددٍ ممكنٍ من الألفاظ؛ فهي وسيلةٌ اقتصاديّةٌ بحدّ ذاتها؛ لأنّها عبارةٌ عن رموزٍ صوتيّةٍ مختصرةٍ، تؤدّي معاني كثيرةً بلا حدودٍ.

١/٣– مفهوم المقاصد اللغويّة ومظاهرها في اللغة العربيّة:

إنّ حفظ اللّفظ والمعنى ضابطان لتحقيق الاقتصاد؛ لأنّ الاقتصاد أحد المقاصد اللغويّة اللّازمة؛ فهو يقع بعد مقصدين كبيرين هما: (رعاية اللّفظ، ورعاية المعنى)، وهما مقدمان عليه، وأولى المقاصد بالعناية هو حفظ المعنى؛ إذ إنّه هو الغاية من الكلام، ثمّ يتبعه حفظ اللّفظ بأغراضه بتفاوتٍ بينهما؛ لأنّ اللّفظ يحمل المعنى. وهو الدّليل عليه، والطريقة الموصلة إليه. فإذا ما حفظ اللّفظ والمعنى، فإنّ اللغة تقصد إلى ثلاثة أغراضٍ لفظيّةٍ، تمثّل جوانب الاقتصاد اللغويّ، وهي: دفع الاستثقال، ودفع الإطالة، وتقليل المباني[١]؛ لذا أشار محمد خلف أنّه من الخطأ حصر مفهوم الاقتصاد اللغويّ في الاختزال، بل لا يقف في دلالته اللغويّة عند معنًى من التقليل؛ كما يعتقده بعض اللّغويّين، ويفسّره، مع العلم أنّ دلالة الاقتصاد تعني حتمًا عدم المبالغة والزّيادة، ولكنّ عدم الزّيادة يختلف عند الإنقاص؛ فقد لا تلجأ إلى الزّيادة في الوقت الذي لا تنقص فيه، وقد لا تجعل النّقص في الوقت الذي تزيد فيه، بل يمكن اعتبار ما هو مسهبٌ ومطوّلٌ، مراعاةً لجملة الحال والأحوال[٢]؛وهكذا كان لمفهوم المقاصد اللّغويّة ارتباطٌ وثيقٌ بمظاهر الاقتصاد اللّغويّ، وتفسيرها

١ – ينظر، راضي، محمد خلف الاقتصادي اللغوي ومظاهره الصوتية في إسقاط الحركة في القراءات القرآنية: دراسة في ضوء علم اللّغة الحديث، وزارة التربية المديرية العامة للتربية، بابل، ٢٠٢٢م، ٥٤.

٢ – ينظر، السّابق،٥٥.

المبحث الثّاني

يختصّ هذا المبحث بدراسة مواضع الاقتصاد اللغويّ بالحذف وأنواعها، في سورة البقرة، واقتصرت من هذه الأنواع على أربعة أنواعٍ، أفردت لها أربعة مطالب؛ قسّمتها حسب أبرز ما يميّز مظاهر الحذف النوعيّة والدّلاليّة، وإن كانت سمةً لمظاهر الحذف الأخرى، على النّحو الآتي:

٢/١- الاقتصاد بآليّة حذف الخبر:

من الصّور الأكثر وضوحًا وتكرارًا للاقتصاد اللّغويّ في سورة البقرة حذف الخبر وهو ما يجعلنا نعرّج على حذف المبتدأ وغيره لتوضيح ذلك الحذف؛ كما في قوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾[سورة البقرة]

نجد في هذه الآية حذفًا للخبر في الجملة الأولى، وقد رأى البغويّ (ت٥١٦هـ) في هذه الآية الكريمة تأصيلًا في القصد اللغويّ فرأى في معنى قوله تعالى:﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ أنّه الإيمان بمحمّدٍ ﷺ، وبجميع رسل اللهﷻ ؛ لأنّهم قالوا: ﴿ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ ١٥٠ ﴾ [سورة النّساء] في حين قال المؤمنون: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ٢٨٥ ﴾[سورة البقرة]. وقيل: بل أراد به الأرحام؛ فرأى البغويّ أنّ المقصود بالمقطوع الّذي أمر اللهﷻ بأن نصله قد يكون الإيمان بالله عامّةً، كما قد يكون المقصود به وصلهم الأرحام المقطوعة؛ لذا يمكننا وصف هذا الحذف بالاقتصاد اللغويّ[١].

ويضيف أبو البقاء العكبريّ (ت٦١٦هـ) أنّ معنى(مَآ) في قوله تعالى (مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ) يمكن أن يكون إعرابه نكرةً موصوفة، ويكون قوله تعالى:(أَن يُوصَلَ)

١ – ينظر، الزيد، عبد الله بن أحمد بن عليّ، مختصر تفسير البغويّ،ط١، دار السّلام للنّشر والتّوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ،٢٣.

يأتي في موضع جرّ على البدليّة من الهاء؛ بمعنى: يوصله، كما يمكن أن تكون بدل اشتمالٍ من ما، والتّقدير: ويقطعون وصل ما أمر الله به [١] .

ورأى أبو الحسن بن سيده (ت ٤٥٨هـ) أنّ "ما" ،هنا، موصولةٌ بمعنى الّذي، في حين أجاز أبو البقاء العكبريّ أن يكون إعراب "ما" نكرةً، هنا موصوفةً؛ وهو ما بيّن ابن سيده ضعفه؛ فرأى ضعف القول بكونها موصوفةً، وخاصّةً، هنا؛ إذ يصير المعنى المقصود: ويقطعون شيئًا أمر اللهﷻ أن يوصله القاطع. وأنّ الفعل (أَمَرَ) متعدٍّ إلى مفعولين؛ حذف الأوّل منهما لفهم المعنى؛ فيكون المعنى: (مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ) ، وأن يوصل في موضع جرٍّ على البدليّة من الضّمير المتّصل في(بِهِۦٓ)، ويكون التّقدير: به وصله؛ أي: بما أمرهم اللهﷻ بوصله [٢]؛ فقوله سبحانه وتعالى:﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ فيكون المعنى أنّهم لم يصلوا ما بينهم وبين ربّهم بما يجب أن تكون الصّلة به من إيمانٍ راسخٍ، وعملٍ صالحٍ، كما أنّهم لم يصلوا الأرحام المأمور بصلتها، ولا أدّوا الحقوق الواجبة عليهم؛ فقولهﷻ﴿ أَن يُوصَلَ ﴾ مصدرٌ مؤوّلٌ لكون "أن" المصدريّة وما في حيّزها يقعان موقع المصدر المؤوّل على البدليّة من الضّمير في (به)؛ فيكون المعنى: ويقطعون ما أمر اللهﷻ بوصله، كما يمكن أن يكون المصدر مفعولًا لأجله؛ فيكون التّقدير هكّذا: كراهية أن يوصل أو لئلّا يوصل، كما أجازوا أن يكون موضع المصدر المؤوّل" أَن يُوصَلَ "في محلّ رفعٍ؛ والتّقدير، حينئذٍ، هو أن يوصل بحذف المبتدأ[٣].

١ – ينظر، العكبريّ، أبو البقاء عبد الله، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (د.ت)،١/٤٤.

٢ – ينظر، بن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، إعراب القرآن، المكتبة الشاملة الذهبية،١/٤٤.

٣ – ينظر، السّابق،١٠٧–١٠٨.

وفي سياق الآية الكريمة ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة البقرة]، يرى ابن جريرٍ الطبريّ (ت٣١٠هـ) عن القصد اللغويّ في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾فيكون تأويل الآية آنئذٍ توجيهًا وتأكيدًا عن طريق الاستفهام التّقريريّ من الله ﷻ فيكون التّأويل هكذا: اعلم يا محمّدﷺ أنّ لي ملك السّموّات والأرض وسلطانهما دون غيري، وأنّني أحكم في السّموّات والأرض وفيما خلقته فيهما، بما أشاء، وأنّني آمر فيهما وبما فيهما بما أشاء، وأنّي أنهي عمّا أشاء فيهما، و أنّني أنسخ من أحكامي، وأبدّل فيها، وأغير منها، بما أحكم به على عبادي بما أشاء وقتما أشاء، وأقرّ من هذه الأحكام ما أشاء منها[١].

وأرى، أيضًا، أنّ الاستفهام التّقريريّ في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾ هو تقريرٌ ثانٍ، ويكون لفظ الجلالة:"الله" اسم أنّ، وأنّ الجارّ والمجرور في قوله (لَهُ) يكونان متعلّقين بمحذوفٍ على تقدير خبرٍ مقدّمٍ، وقوله: (مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ) يعرب مبتدأً مؤخّرًا، ويكون قوله: (وَٱلْأَرْضِ) معطوفًا على السّموّات [٢].

ومن ثم؛ فإنّه يمكننا بعد طرح كلّ هذه الآراء لعلماء قدامى ومعاصرين لقوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾فقد تجلّى القصد القرآنيّ في المعنى من خلال إجمال الملك في السّماوات والأرض والبعد عن تفصيل مظاهر ذلك الملك وأشكاله فكان الإجمال في الآية متناولًا لملك السّماوات والأرض وما بينهما بطبيعة الحال والتّقدير؛ أي: إنّ الله له كلّ ما في السّماوات والأرض ملكًا وأمرًا.

١ – ينظر، الطبريّ، أبو جعفر مُحَمَّد بن جريرٍ، جامع البيان في تفسير القرآن، المطبعة الأميريّة، القاهرة، ١٩٠٥م، ٣٨٤/١.

٢ – ينظر، الحيالي، عدنان، إعراب الجمل الاستفهامية في القرآن الكريم، دار غيداء للّنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٢٠م،٧٣.

ومن مواضع حذف الخبر التي توقّف عندها العلماء، أيضًا، ما نجده في قوله تعالى:﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ ﴾[سورة البقرة]؛ ففي هذا الموضع الكريم حذفٌ لخبر " ئم "وقد ناقش أبو جعفرٍ الطّبريّ (ت٣١٠هـ) موضع ما كانا فيه بشكلٍ دقيقٍ مؤصّلًا للقصد اللغويّ، وما بين الأحرف من معانٍ يمكن تقديرها؛ فقال: "قال أبو جعفرٍ: ﴿ مِمَّا كَانَا ﴾ يعني ممّا كان فيه آدم وزوجته من رغد العيش في الجنّة، وسعة نعيمها الّذي كانا فيه، وإنّما أضاف الله ﷻ إخراجهما من الجنّة إلى الشّيطان، وإن كان الله هو المخرج لهما؛ لأنّ خروجهما منها كان بسببٍ من الشّيطان، فأضيف ذلك إليه لتسبّبه إيّاه؛ كأن يقول قائلٌ لرجلٍ وصل إليه منه أذًى حتّى تحوّل من أجله عن موضعٍ سكنه زمنًا: "ما حوّلني من موضعي الّذي كنت فيه إلّا أنت"[١].

وكشف ابن كثيرٍ (ت٧٧٤هـ) نوعًا آخر من التّأصيل للقصد اللغويّ وعلاقته بالاقتصاد اللّغويّ؛ فقال:" لهذا قال تعالى:﴿ فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴾ أي: من اللّباس والمنزل الرّحب والرّزق الهنيء والرّاحة"[٢].

وأرى في قوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾أنّ الفاء الملحقة بالفعل، هنا، عاطفةٌ على محذوفٍ مقدّرٍ، يقتضيه سياق الكلام؛ أي: فأكلا من الشّجرة عينها، وتعرب كلمة: (الشّيطان) فاعلًا، للفعل:" أزلّ"، ويعرب الجارّ والمجرور "عَنۡهَا"متعلّقين بالفعل :"أزلّهما"، أو بمحذوفٍ حالًا، وجملة: "فأخرجهما" معطوفةٌ على جملة:" فَأَزَلَّهُمَا ، ويعرب الجارّ والمجرور (مِمَّا) متعلّقين بالفعل: ﴿ فَأَخۡرَجَهُمَا ﴾

١ – ينظر، الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ١/١٩٠.

٢ – ابن كثير، إسماعيل الدمشقيّ، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ١/٣٣٦.

والفعل(كان) في قوله: "كَانَا" هو فعلٌ ماضٍ ناقصٌ، والألف في"كَانَا" اسم(كان)، ويعرب الجارّ والمجرور (فِيهِ) متعلّقين بمحذوفٍ في محلّ نصبٍ خبرًا لكان النّاسخة النّاقصة [1].

ومن ثمّ؛ فإنّ المقصود بقوله:(ما كانا فيه) في الآية الكريمة، حسب سياقها، هي جنّة الخلد الّتي يتوق النّاس إليها توقًا، ويشتاقون إليها وصفًا واشتياقًا؛ فقوله تعالى ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: فاسم الموصول "ما"، هنا، بمعنى الّذي، ويجوز أن تكون"ما"، نكرةً موصوفةً؛ أي: من نعيمٍ أو عيشٍ؛ فكان الاقتصاد اللّغويّ في إضمار :(ما كانا فيه) دافعًا إلى التّأمّل والتفكّر في كانا فيه، ثمّ حدث أن خسراه بسبب وسوسة الشّيطان وطواعيتهما إيّاه في هذه الوسوسة [2].

وهكذا كان لحذف الخبر دورٌ واضحٌ في انفتاح الدّلالة، وكثرة الاحتمالات والأوجه المحتملة التي تكسب المعنى ثراءً وسعةً وعمقًا.

٢/٢- آليّة حذف المفعول: صورها ودلالاتها.

وكما رأينا فيما أثمر عنه حذف الخبر من اقتصادٍ لغويّ وأثر ذلك على هذه الدّلالات المحتملة في سياق التّأصيل للقصد اللغويّ؛ فإنّه يمكننا أن نقف أمام صورةٍ أخرى؛ ففي قوله تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [سورة البقرة].

ويمكننا أن نقف على الاقتصاد اللغويّ في الآية الكريمة فيما فسّره ابن النّحّاس (ت ٣٣٨ هـ) فرأى أنّ:" (وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ) أي إنّ المراد بذلك : لا يقتل بعضكم بعضًا، وبيّن علّة ذلك بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ فحذف

١ – ينظر، الدرويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، ط٤ دار ابن كثير، دمشق، بيروت،١٤١٥ هـ،١/ ٨٦.

٢ – ينظر، العكبريّ، التبيان في إعراب القرآن، ٥٣/١.

المفعول به لعلم السّامع به؛ واستأنس ابن النّحّاس في رأيه بما رواه اللّيث عن ربيعة في أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: أهلكم، ومحارمكم، وما نهى اللهﷻ فيه النّاس بعضهم عن بعضٍ. (١)

ورأى أبو الحسن الرّمّانيّ (ت ٣٨٤هـ):" في هذه الآية الكريمة إيجازًا بالقصر، مع العلم بأنّ الإيجاز بالقصر يختلف عن الإيجاز بالحذف؛ لكون إيجاز القصر أغمض من إيجاز بالحذف، مع كون إيجاز الحذف غامضًا، أيضًا، لحاجة المتلقي، عادةً، إلى العلم بمواضع الحذف الّتي يصلح فيها من تقدير المحذوفات في مواضع لا يصلح هذا التّقدير في غيرها(٢).

وممّا يوضّح المفاضلة بين إيجازي : الحذف والقصر ما نجده في أمثال العرب: "القتل أنفى للقتل"(٣) فقد تباهى العرب بهذا الإيجاز بالقصر في هذا المثل، وعدّوه قولًا بليغًا وصل المحزّ؛ لكونه من أوجز الكلام (٤)، ولكنّهم وجدوا ما جاء في قول اللهﷻ من اختصارٍ في هذا المعنى في الآية القرآنيّة: ﴿ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ أكثر إيجازًا ودقّةً وتعبيرًا، وكثافةً أسلوبيّةً؛ لكونها تكوّنت من أربع كلماتٍ؛ هي:(في، ال، قصاص، حياةٌ) في حين تكوّن المثل العربيّ من ستّ كلماتٍ؛ هي:((ال، قتل، أنفى، وضميره لأنّه اسمٌ مشتقٌّ، اللّام، قتل) ونجد

١ – ينظر، النّحّاس، أحمد بن مُحَمَّد، إعراب القرآن، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت،٢٠١٥م، ٩٢/١.

٢ – ينظر، الرّمّانيّ، عليّ بن عيسى أبو الحسن، النّكت في إعجاز القرآن، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م،١/ ٧٨.

٣ – الميدانيّ (ت ٥١٨هـ)، أبو الفضل أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم النّيسابوريّ، مجمع الأمثال، تحقيق: مُحَمَّد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ١٠٥/١.

٤ – ينظر، السّكّاكيّ (ت ٦٢٦هـ)، يوسف بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن عليّ، مفتاح العلوم،تحقيق: نعيم زرزور،ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م،٢٧٧.

في هذا قصدًا لغويًّا متمثّلًا في صورةٍ أسلوبيّةٍ مباشرةٍ وواضحةٍ في الوفاء بالمعنى المقصود في أقلّ عددٍ من الألفاظ [١].

ومن ثمّ؛ فهذا الإيجاز في الآية الكريمة إيجازٌ بالقصر دون حذفٍ، والإيجاز مقدّرٌ في الآية؛ أي إن القصاص وما انبثق منه من أحكامٍ، إن طبّقتموه فلكم في هذا التطبيق صلاحٌ في الحياة؛ كما تضمّن الإيجاز توجيهًا للخطاب بالزّجر والرّدع للقاتل؛ ففي حال القتل فسيكون الأصل أن يقتل نظيرٌ جرّاء فعله للقتل؛ فالواو استئنافيّةٌ في قوله (ولكم) وما بعد الواو جملةٌ مستأنفةٌ مسوقةٌ لبيان الحكمة في مشروعيّة القصاص، أمّا (في القصاص) فجارٌّ ومجرورٌ متعلّقان بمحذوفٍ حال المقدّر في الآية الكريمة.

وفي قوله تعالى:﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [سورة البقرة] حذفٌ للمفعول؛ فرأى أبو البقاء العكبريّ (ت ٦١٦هـ): أنّ في قوله تعالى: (وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ) : مفعولًا للفعل:"بثّ" محذوفًا، وتقدير المفعول المحذوف: وبثّ فيها من كلّ دابّةٍ دوابّ، ورأى جواز كونها زائدةً في مذهب الأخفش؛ لكونه أجازه في الواجب[٢].

وممّا قيل في إيجاز هذه الآية الكريمة ما رآه أبو الحسن بن سيده (ت ٤٥٨ هـ) حين رأى أنّ في قوله: ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾، ضميرًا مستترًا عائدٌ على الموصول، سواءٌ أكان عطفه على قوله:" أنزل"، أم كان العطف على "أحيا"؛ لأن الجملتين كلتيهما صلةٌ للموصول، وممّا يتخرّج على الآية، أنّها على

١ – ينظر، التفتازانيّ، سعد الدين مسعود، مختصر المعاني في البلاغة، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٦م، ٢٥٥.

٢ – ينظر، العكبريّ، التبيان في إعراب القرآن،١/ ١٣٣.

حذف موصولٍ؛ وذلك لفهم المتلقّي المعنى المعطوف على الاسم الموصول "ما" في قوله: "وما أنزل"، والتّقدير في ذلك:" وما بثّ فيها من كلّ دابّةٍ"؛ فيصير هذا أعظم وأبلغ في الآيات؛ لأنّ ما بثّه اللهﷻ في الأرض من الدوابّ فيه من الآيات العظيمة في صفاتها، وأشكالها، وانتقالاتها، وأحوالها ومنافعها، ومضارّها، وسائر أعاجيبها، وما أودعه سبحانه وتعالى في كل شكلٍ من أشكالها، ونوعٍ من أنواعها، شكّل منه ﷻ أسرارها اللّطيفة، وصفاتها العجيبة، ولطائف صنعته الفريدة الغريبة، من الذّرّ إلى الفيل، وما أوجده سبحانه في البحار والمياه من عجائب مخلوقاته المتباينة كلّ التّباين مما ينبغي إفراد ذكره(١).

ومن هذه القراءة النّحويّة لبلاغة حذف المفعول، وما أثمرته من دلالاتٍ يتّضح لنا، هنا، أنّ مفعول الفعل: بثّ" المحذوف، والمقدر بـ:"بثّ فيها دوابّ كثيرةً متنوّعةً" في هذا الموضع فتح آفاق الدّلالة مع كونه إيجازًا بالحذف، واقتصادًا لغويًّا واضحًا؛ وهو ما نجد نظائر له في سورة البقرة؛ كقوله تعالى: ﴿ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ ﴿٩٠﴾ ﴾ [سورةالبقرة]؛ ففي هذه الآية الكريمة نجد حذفًا للمفعول به، وتقديره حين التّقدير النّحويّ: يُنَزِّلَ ٱللَّهُ شيئًا من فضله.

وقد تعرّض القدماء لهذا الاقتصاد بالحذف؛ فممّن حاول تقدير هذا المحذوف حسب مظاهر الاقتصاد اللغويّ البغويّ (ت ٥١٦ هـ) فرأى في تقدير هذا الحذف في قوله تعالى:" ﴿ أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ أن المحذوف قد يكون الكتاب، أو النّبوّة(٢). وفي هذا الصّدد يضيف ابن سيده (ت٤٥٨هـ) فرأى في تقدير قوله:" (من فضله) أنّ "من" الجارّة جاءت لابتداء الغاية، و المجرور

١ – ينظر، ابن سيده، إعراب القرآن،١/ ٣٤٣.

٢ – ينظر، البغويّ، تفسير البغويّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م،١/ ٩٢.

"الفضل"إنّما المراد به، هنا، النّبوّة والوحي؛كما أجاز بعض النّحاة أن تكون "من" الجارّة هي حرفٌ زائدٌ ؛ كما في مذهب الأخفش، فتكونفَضْلِهِۦ هي التي في موضع المفعول به، أي إنّ الله ﷻ ينزل فضله(١).

وإذا كان البغويّ قد تردّد في تقدير هذا الاقتصاد اللّغويّ حسب حذف المفعول، بين وجود الإيجاز، وعدمه، بحسب إعراب "من" فإنّنا نجد العكبريّ (ت ٦١٦ هـ) يرى أنّ قوله:" ﴿ أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ ﴾ يقع مفعولًا من أجله؛ فقيل التّقدير: بغيًا منهم على ما أنزله اللهﷻ؛ والمراد: حسدًا منهم على ما خصّ الله تعالى به النّبيّﷺ من الوحي. ويقدّر مفعول الفعل:" ينزّل" بمحذوفٍ؛ أي: ينزّل اللهﷻ شيئًا ﴿ مِن فَضْلِهِۦ ﴾، كما يرى جواز أن يكون حرف الجرّ "من" زائدًا؛ كما في مذهب بعض النّحاة البصريّين؛ كأبي الحسن الأخفش (٢).

ومن ثمّ؛ يبيّن تقدير حذف المفعول عظم فضل الله، تعالى، الذي قصدته الآية الكريمة، وعدلت عن بيانه، وذكر حدّه من صاحب الفضل، سبحانه وتعالى؛ فمفعول ﴿ يُنَزِّلَ ﴾محذوفٌ؛ أي: ينزّل اللهﷻ شيئًا من هذا الفضل الذي لا يحدّه حدٌّ.

ومن مواضع الاقتصاد اللّغويّ بحذف المفعول به؛ ممّا يدث أثرًا لطيفًا في الدّلالة قوله تعالى:﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ [سورةالبقرة]؛ ففي هذا الموضع الكريم نجد إيجازًا بحذف المفعول به في قوله: (تَسْتَرْضِعُوٓاْ)؛ فمفعوله محذوفٌ، تقديره أجنبيةٌ، أو غير الأمّ، وقد تعرّض البغويّ (ت٥١٦هـ) في تفسيره لهذا

١ – ينظر، ابن سيده، إعراب القرآن، ٢٣٢/١.

٢ – ينظر، العكبريّ، التبيان في إعراب القرآن ،٩٢/١.

الموضع فرأى أنّ قوله: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ ﴾ أي:تسترضعوا مراضع غير أمّهات أوّلادكم، إن رفضت أمّهاتهم الرّضاعة؛ فيرضعنهم،كما قد تتعذر أمّهاتهنّ لعلّةٍ ما ألمّت بهنّ؛ كانقطاع لبنهنّ، أو لرغبة نكاحٍ (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم) إلى أمّهات أولادكم (مَّآ ءَاتَيْتُم) أي ما سمّيتم لهنّ سلفًا من أجرٍ للرّضاعة بقدر ما أرضعنهم، وقيل: إذا سلمتم أجور مراضعهم بالمعروف إليهنّ[١].

وقدّر عبد الرّحمن السّعديّ (ت١٣٧٦هـ) المفعول المحذوف، بتقديره الجملة هكذا: تطلبون لهم الرّضاعة من غير أمّهاتهم على غيرٍ وجهٍ من المضرّة[٢]، وكان ابن كثيرٍ (ت٧٧٤هـ) قد قدّر الجملة هكذا: إذا عزم الوالدان على أن يتسلّم الوالد منها الولد لعذرٍ لهما فلا حرج على الوالدين في ذلك؛ لاحرج على الأمّ، ولا على الوالد في قبوله منها إذا سلّمها أجرتها عمّا سبق من إرضاعها، واسترضع، حينئذٍ،مرضعًا غيرها لولده بأجرٍ مدفوعٍ[٣].

ومن ثمّ؛ فإن مفعول الفعل:" تَسْتَرْضِعُوٓاْ " محذوفٌ، تقديره: أجنبيّةٌ، أو مرضعةٌ غير والدته؛ ولذلك وظّفت الآية الكريمة لفظة:" تَسْتَرْضِعُوٓاْ "؛ أي إنّ التي ستقوم، آنئذٍ، بهذا الفعل من الرّضاع ليست المنوط بها القيام بهذا الفعل من أجل الرّضيع كوالدةٍ منوطٍ بها القيام بهذا الفعل، بل ستقوم هي بهذا الفعل بطلبكم أنتم منها، وهذا تجلٍ واضحٌ للاقتصاد اللغويّ الباعث على التّأمّل والتّدبّر.

ومن مواضع الاقتصاد اللّغويّ بحذف المفعول به في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ

١ – ينظر، البغويّ، تفسير البغويّ،١/ ٣٠٦.

٢ – ينظر، السّعديّ، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، العبيكان، الرياض، ١٩٨٨م،١٠٤.

٣ – ينظر، ابن كثيرٍ، تفسير القرآن العظيم،١/٢٣٤.

وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [سورةالبقرة]؛ ففي هذه الآية حذفٌ للمفعول به في قوله: (ك)؛ فمفعوله محذوفٌ تقديره: شيئًا؛ أي أنفقوا شيئًا ممّا رزقناكم. وحاول بعض النّحاة تقدير هذا المفعول المحذوف؛ فقدّره الزّجّاج (ت٣١١هـ) بشبه جملةٍ؛ فرأى المراد أنفقوا في الجهاد، وذلك ليعين بعضنا بعضًا في هذا المراد[١]؛ وثمّة اجتهادٌ آخر للبغويّ (ت ٥١٦هـ) حين نقل في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾ ما رآه السّدّيّ من أنّ المراد في الآية: أنفقوا الزّكاة المفروضة، في حين ذهب غيرهما إلى تقديرٍ مختلفٍ نسبيًّا؛ حين حدّدوا هذه الزّكاة بصدقات التّطوّع والإنفاق في أوجه الخيرات؛ حين جعلوا التّقدير: أنفقوا الصّدقات [٢].

وكان للطّاهر بن عاشورٍ رأيٌ في هذا الحذف في تفسيره الآية في التّحرير والتّنوير حين رأى أنّ صيغة الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾ أكثر ظهورًا في وضوح العموم والشّمول؛ فرأى المراد في الآية: أنفقوا عموم الإنفاق؛ وبذلك تشمل كلّ إنفاقٍ مطلوبٍ حثّ عليه الإسلام؛ فمراد الإنفاق، هاهنا، أعمّ وأشمل في الإنفاق في سبيل الله ﷻ؛ لذا حذف المفعول به المتعلّق لقصد الانتقال إلى أمر الله ﷻ المسلمين بما يجب عليهم من صدقاتٍ وغيرها، في حين يأتي قوله تعالى (مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم) للحثّ على الإنفاق المستحقّ[٣].

ومن ثمّ؛ أرى أنّ ثمرة الاقتصاد اللغويّ الدّلاليّة بالحذف في الآية الكريمة، هي الدّعوة إلى كلّ صور الإنفاق قدر المستطاع؛ ممّا رزق الله ﷻ المخاطبين

١ – ينظر، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم ، معاني القرآن وإعرابه المسمى المختصر في إعراب القرآن ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٧م،١/٣٣٥.

٢ – ينظر، ، البغويّ، تفسير البغويّ،١/ ٢٥٤– ٢٥٥.

٣ – ينظر، ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر، التّحرير والتّنوير، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٦م،٣/١٤.

بهذا الرّزق الّذي رزقوه؛ فانفتاح الدّلالة وسّع صور الحثّ على الإنفاق وجوبًا وتطوّعًا.

وكما وجدنا من صور الدّلالة النّاجمة عن بلاغة الحذف للمفعول الواحد نجد إيجازًا واقتصادًا لغويًّا أعظم أثرًا بحذف مفعولين؛ كما نجد في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [سورةالبقرة]؛ ففي هذه الآية الكريمة نجد حذفًا لمفعولين محذوفين؛ والتّقدير في ذلك: أي اجعل فريقًا من ذرّيّتي إمامًا، وقد تعرّض البغويّ (ت ٥١٦ هـ) في تفسيره إلى هذا القصد في اللّفظ فرأى أن قوله: (وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ) فيها تقدير ومن أولادي أيضًا؛ لذا يسأل النّبيّ إبراهيمعليه السلام الله ﷻ أن يجعل من أولاده وأولادهم أئمةً للنّاس، يقتدون بهم في عمل الخيرات [١].

ومن آراء المعاصرين ما نجده لدى أحمد الخرّاط في كتابه:" المجتبي من مشكل إعراب القرآن الكريم؛ إذ يرى قوله تعالى:"(كَ كَۡ) متعلّقًا بصفةٍ لموصوفٍ حذف اقتصادًا، وهو المفعول الأوّل، كما يرى أنّ المفعول الثّاني وعامله محذوفين؛ فيكون التّقدير دعاء إبراهيمعليه السلام ربّه سبحانه بأن يجعل فريقًا كائنًا من ذرّيّته يكون إمامًا للنّاس، وتكون جملة (وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ) مع محذوفها في محل نصبٍ؛ لأنّها مقول القول[٢] .

كما ذكر ذلك محيي الدّين الدّرويش حين رأى أنّ (قَالَ) فعلٌ ماضٍ، فاعله هو الجارّ والمجرور. والواو عاطفة. والجارّ والمجرور عطفٌ على الكاف، وكأنّه قال: (وجاعلٌ بعض ذرّيّتي) مثل قولنا: سأكرمك، والتّقدير: واجعل إمامًا

١ – ينظر، البغويّ، تفسير البغويّ،١/ ١٢٤.

٢ – ينظر، الخراط، أحمد بن محمّد، المجتبى من مشكل إعراب القرآن ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة. ١٤٢٦هـ،١/٤٦.

من ذرّيّتي [1].فالمفعولان المحذوفان في الآية الكريمة يمثّلان شكلًا من أشكال الاقتصاد اللغويّ بلا ريبٍ، فالتّقدير هنا: واجعل فريقًا إمامًا من ذرّيتي.

٢/٣- حذف المصدر: الشّيوع والمقاصد .

لعلّ إنابة المصدر عن الفعل المحذوف وحذف المصدر بدلالة الفعل عليه من أكثر صور الاقتصاد اللّغويّ في الاستعمال اللّغويّ؛ وممّا نجده من صوره في سورة البقرة قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورةالبقرة]؛ ففي هذه الآية حذفٌ للمصدر المقدّر في قوله تعالى (كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ) فالكاف،هنا، في موضع نصبٍ صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ؛ أي: إيمانًا مثل إيمان النّاس. وقد وصف ابن كثيرٍ (ت٧٧٤هـ)، طبيعة هذا الإيمان الذي يدعو القرآن إلى مثله :"وإذا قيل للمنافقين:(ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ) أي: كإيمان النّاس بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنّة والنّار وغير ذلك، مما أخبر المؤمنين به وعنه، وأطيعوا الله ورسوله في امتثال الأوامر وترك الزّواجر"[2].

ووافقه السّعديّ (ت١٣٧٦هـ) حين أضاف المعنى والتّأويل؛ فقال:" أي: إذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن النّاس؛ أي: كإيمان الصّحابة ﷺ، وهو الإيمان بالقلب واللّسان"[3]. وقدّره الخازميّ هكذا: "أن أنؤمن إيمًانا كإيمان السّفهاء"؛ فحذف الموصوف، وأقيمت الكاف الّتي هي صفته مقامه؛ وقاس الخازميّ عليه كلّ ما جاء في التّنزيل من قوله : (كَمَآ)[4].

١ – ينظر، الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه ، ١/١٧٩.

٢ – حميد، صالح، اليسير في اختصار تفسير ابن كثيرٍ، دار الهداة للنشر، جدّة، ١٤٢٦ هـ، ١/٥٣.

٣ – ينظر،البغويّ، تفسير البغويّ،١/ ٤٤.

٤ – ينظر، الخازميّ، أبو الحسن سالم بن الحسن، إعراب القرآن، المكتبة الشّاملة الذّهبيّة، ١/١١٠.

وقد منع النّحاة أن تكون الجملة قائمةً مقام الفاعل؛ لأنّ الجملة لا تكون فاعلًا. فلا تقوم مقامه؛ مثل: (كما) الجارّ والمجرور التي يمكن أن تكون نعتًا لمصدرٍ محذوفٍ. والتّقدير: آمنوا إيمانًا كإيمان النّاس، وقد ذكر سيبويه قريبًا من هذا الرّأي؛ فرآه في محلّ نصبٍ على الحاليّة؛ فيرى الكاف حرفًا، أو اسمًا؛ بمعنى (مثل)، ويكون صاحب الحال؛حينئذٍ، مصدرًا مفهومًا من فعله المتقدّم، وتكون ما مصدريّةً، وجملة: (ءَامَنَ ٱلنَّاسُ جملةٌ فعليّةٌ من فعلٍ وفاعلٍ[١] فلم يأت إضمار إيمان أهل الإيمان في الموضع الكريم عبثًا، بل هو دعوةٌ لهم إلى الإيمان، كإيمان المؤمنين المتّصفين بتلك الصّفة، الّتي اختار لهم القرآن الكريم وصف النّاس؛ أي: إنّ الأصل في النّاس الإيمان.

ولعلّ حذف المصدر شائعٌ في النّصّ القرآنيّ، وغيره أيضًا، لإمكان تأويله، وضرورته لفهم المقاصد؛ وهو ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[سورةالبقرة]؛ ففي الآية الكريمة حذفٌ للمصدر في قوله: (كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ) فالكاف في موضع نصبٍ نعتًا لمصدرٍ محذوفٍ. تقديره: يحيي الله الموتى إحياءً مثل ذلك؛ لذا نجد في تفسير ابن كثيرٍ تقديره: فضربوه فحيي، ونبّه الله ﷻ بذلك على تمام القدرة في إحياء الموتى؛ كما رأوا أمر إحياء الميّت؛ فجعل الله ﷻ ذلك الصّنع، فاصلًا على ما بينهم من الفساد والاختصام [٢].

ووافقه القرطبيّ حين قال:" أي: كما أحيا هذا بعد موته كذلك يحيي الله كلّ من مات؛ فالكاف في موضع نصبٍ؛ لأنّه نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ"[٣].

١ – ينظر، الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه،١/٣٥.

٢ – ينظر، ابن كثيرٍ ، تفسير القرآن العظيم، ١/١٣٦.

٣ – ينظر، القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت،(د.ت)، ٣/٧٢.

ولكنّنا نرى الخازميّ يذكر أنّ الكاف اسمٌ بمعنى مثلٍ في محلّ نصبٍ نائبًا عن المفعول المطلق؛ لأنّه نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ، وتقديره: يحيي الله الموتى إحياءً مثل ذلك الإحياء، وأنّ "ذا" في "ذلك: هي اسم إشارةٍ مضافٌ إليه [١].

وقريبٌ منها في هذا الاقتصاد القائم على المقاصد قوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣﴾ [سورةالبقرة]؛ ففي الآية الكريمة اقتصادٌ لغويٌّ بحذف المصدر في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ﴾ ؛فالكاف في موضع نصبٍ، نعتًا لمصدرٍ محذوفٍ منصوبٍ بـ (قال) وهو مصدرٌ مقدّمٌ على الفعل، والتّقدير قولًا مثل قول اليهود والنّصارى. وقدّره القرطبيّ بأنّ المراد هم كفّار العرب؛ لأنّهم لا كتاب لهم. وقال عطاءٌ: المراد،في الآية الكريمة، أقوامٌ كانت موجودةً قبل اليهود والنّصارى[٢]. ويرى البغويّ تقديرًا يفسّره قوله بأنّ المراد هم آباؤهم الّذين سلفوا وقالوا (مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ) ويستأنس برأي مجاهدٍ: في أنّ المراد هم عوامّ النّصارى، وبرأي مقاتل بن سليمان في أنّ المراد هم مشركو العرب؛ لأنّهم قالوا كذلك في النّبيّ ﷺ وفي أصحابه، بأنّه ليس لديهم شيءٌ من الدّين[٣]. ويضيف السّيوطيّ (ت ٩١١ هـ) تقديره؛ فيقول: "ومثله: كذلك في نحو قوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ ﴾ أي قولًا مثل ذلك قال الّذين لا يعلمون ويكون مثل قولهم بدلا من الأوّل وتفسيرًا "[٤].

١ – ينظر، الخازمي، إعراب القرآن،١/ ١٢٧.

٢ – ينظر، القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن،٣/ ٣٢١.

٣ – ينظر، البغويّ، تفسير البغويّ،١/٧٩.

٤ – السّيوطيّ، جلال الدّين، إعراب القرآن، المكتبة الشّاملة الذّهبيّة،١/ ١٣٤.

ومن ثمّ؛ يتمثّل لنا الاقتصاد اللّغويّ، في هذا الموضع، في حذف المصدر الذي لم يتعرّض بالتّصريح بمن لا يعلمون أيًّا كانوا عربًا مشركين، أم يهودًا، أم نصارى. فكلّهم سواسيةٌ في المنظور القرآنيّ، من عامل الجهل المشترك بينهم جميعهم؛ ممّا جعل أسلوب الحذف المتمثّل في حذف المصدر. الذي لابدّ من الوقوف على تقديره متجليًّا في هذه الآية الكريمة مع اختلاف مقاصد الحذف؛كما أسلفت.

٢/٤- حذف المضاف واتّساع الدّلالة.

ولعلّنا لاحظنا ما أدّى إليه الاقتصاد اللّغويّ بالحذف في المطالب الثّلاثة السّابقة، وتتّسع، أيضًا، بشكلٍ ملحوظٍ؛ كما في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [سورةالبقرة]؛ ففي الآية حذفٌ للمضاف في قوله: (كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ) وتقديره: إبطال صدقاتكم كإبطال الّذين ينفقون نفاقًا ورياءً؛ وهو ما علّق عليه أبو البقاء العكبريّ (ت ٦١٦هـ) حين رأى أنّ تقدير قوله: (كَٱلَّذِي يُنفِقُ) هكذا: الكاف الملحقة بالموصول منصوبةٌ على النّعت بمصدرٍ محذوفٍ، وأنّ في الكلام حذفًا للمضاف، تقديره: إبطالٌ كإبطال من ينفق، كما رأى أنّه قد يكون منصوبًا على الحاليّة، وصاحبه ضمير الفاعلين؛ أي إنّ المراد: لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم. مشبهين في ذلك من ينفق أمواله ونفاقًا ورياءً [١].

ولأبي جعفرٍ النّحّاس (ت٣٣٨هـ) تقديرٌ يؤكّد أنّ العكبريّ لم يبعد في تقديره عن سابقه، في تقديره حذف المضاف؛ إذ يقدّره النّحّاس هكذا: كزوال أجر

١ – ينظر، العكبريّ، التبيان في إعراب القرآن،١/٢١٤.

المنفقين رياءً ونفاقًا؛ إذًا فهو نعتٌ للمصدر المحذوف، رأى أنّه قد يكون منصوبًا على الحاليّة أيضًا [١].

ومن المواضع التي لفتت نظر ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) من هذا الاقتصاد بحذف المضاف في القرآن الكريم، وفي سورة البقرة، خاصّةً، قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [سورةالبقرة]؛ ففي قوله(وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ) يقدّر ابن الأثير المضاف المحذوف بأنّه كلمة "خصلة"، ويمكننا أن نفعل فعل ابن الأثير بأن نقدّر ما في معناها بحسب المقاصد، فيكون التّقدير: "خصلة من اتّقى "، ودليل الاتّساع في تقدير الحذف أنّ ابن الأثير يذهب فيه مذاهب شتّى، فيرى جواز التّقدير بأن نقول:" ولكنّ ذا البرّ من اتّقى"، وإن كان يعدل عنه إلى التّقدير الأوّل؛ لما هو معروفٌ من كون حذف المضاف ضربًا من الاتّساع في الدّلالة والجواز والاستساغة، وأنّ الاتّساع بحذف العجز أولى منه بحذف الصّدر[٢].

وهكذا يبدو الاتّساع أكثر مظاهر الاقتصاد اللّغويّ في حذف المضاف، وإن كانت السّمات كلّها من الاتّساع والمقاصد والتّكثيف الدّلاليّ، وانفتاح أفق التّأويل، والاختزال، وتوفير الوقت والجهد، ومشاركة المتلقّي في ملء الفجوات النّصّيّة متوافرةً في كلّ ما عرضت له في بحثي من آليّات الاقتصاد اللّغويّ من حيث الحذف للخبر، أو المفعول، أو المصدر، أو المضاف، وإن غلّبنا في كلّ مطلبٍ ما هو به ألصق وأكثر استعمالًا، وتعدّدت مظاهره وأثمرت آليّته.

١ – ينظر، النّحّاس، إعراب القرآن،١/١٢٩.

٢ – ينظر، ابن الأثير ،المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، ٢/٩٣.

الخاتمة

- الاقتصاد اللّغويّ سمةٌ لغويّةٌ، لا تقتصر على لغةٍ دون أخرى؛ ولكنّها ليست من سمات اللغة العربيّة فحسب، بل هي إحدى الثّوابت اللغويّة التي ترتكز عليها؛ لأنّ اللغة العربيّة بخصائصها الأصيلة تميل إلى الإيجاز والاختصار. حتّى أصبح هذا الاقتصاد ضربًا رئيسًا من ضروب فصاحتها وبلاغتها؛ لذا فقد عرفه علماء العرب القدامى، وتوقّفوا أمام شواهده في النّصوص القرآنيّة، وغيرها، وإن لم يفردوا له أبوابًا في كتبهم، بل كانوا يزاولونه تحت مسمياتٍ أخرى؛ كالحذف، والاختصار، والاختزال، والإيجاز، وغيره. وما ثبت هو أنّ المحدثين هم من أطلقوا عليه هذا المصطلح، وربطوه بالجهد الذّهنيّ والعضليّ الأقلّ.
- تجلّت مظاهر الاقتصاد اللغويّ في القرآن الكريم عامّةً، وفي سورة البقرة خّاصّةً، ولعلّ ما استأنست به من آراء علماء العربيّة وبلاغيّيها ومفسّريها، وقبل ذلك وبعده يأتي دور النّحاة العرب، الذين تعوّل عليهم هذه الدّراسة، وتنطلق من جهودهم إفادةً وتحليلًا وإضافةً ، وبخاصّةٍ فيما رآه البحث من كثرة مظاهر الاقتصاد، وضرورة تبويبها، وتمييزها، ومعرفة مسالك النّحاة واللّغويّين في تأويل النّصوص، وتقدير المحذوف من الكلام وفق المقاصد وتوسيعًا للدّلالات؛ ممّا يفتح بابًا جديدًا من أبواب الإعجاز القرآنيّ في تقدير المحذوف حسب السّياقات والأحوال؛ وهذه نتيجةٌ مهمّةٌ انتهى إليها بحثي، وثمّة نتائج أخرى مهمّةٌ، يمكنني إفرادها في نقاطٍ محدّدةٍ؛ كالآتي:
- تحقّقت الغاية من الاقتصاد اللغويّة في سورة البقرة بتعظيم الخطاب الرّبّانيّ وتفخيمه. ووجوب علم المخاطب به، مع أمن الالتباس في فهم المعنى، والوفاء به، وزيادة الشّغف باستنباط الذّهن للفظ المحذوف؛ مما يدفع إلى استثارة ذهن المتلقّي و إزكاء استنباطه، وفي ذلك حكمةٌ إلهيّةٌ عظيمةٌ، تسوق العباد إلى توحيد الخالق ﷻ، والإيمان بشرائعه، والحياة، والموت،

والبعث، والتّوكّل على اللهﷻ في طلب الرّزق، والإيمان المطلق بالغيب، والاستخلاف في الأرض، وغيرها، بأقصر طريقٍ.

- كان مبدأ الاقتصاد اللغويّ حاضرًا في سورة البقرة بما يمثّل ظاهرةً لها مظاهرها القمينة بالتّتبّع وصفًا وفهمًا وتحليلًا وتبويبًا وتفريعًا؛ فأحصيتها في أربعة مظاهر أساسيّةٍ، رتّبتها حسب أهميّتها؛ فبدأت بحذف الخبر، فالمفاعيل، فالمصدر، فالمضاف، وأبرزت في ذلك كلّه الأثر النّحويّ في دلالة سياق الآيات وقوتها، وما أدّت إليه من ثمارٍ أسلوبيّة في سبك الآيات الكريمة، وانسجام تراكيبها.
- تجلّى الاقتصاد اللغويّ بالحذف في سورة البقرة ظاهرةً لغويّةً، اشتركت بين الدّرس النّحويّ والدّلاليّ؛ لأنّ كلّ موضعٍ نحويٍّ كان له أثرٌ دلاليٌّ؛ لذا كان جلّ اعتمادي بالدّرجة الأولى، في التّحليل والاستنتاج والاستدلال على تفاسير العلماء المفسّرين، قديمًا وحديثًا، لمواضع الاقتصاد اللغويّ في آيات سورة البقرة؛ لأنّهم نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثمّ التّابعين، وتحرّوا الآثار الموضوعة والضّعيفة، وتحرّزوا من التّأويل المفرط للمحذوف في ظاهرة الاقتصاد اللّغويّ؛ بما رعوه من فهم المقاصد وأسباب النّزول، وسياق الآيات، والإحالات الدّاخليّة والخارجيّة؛ أعني في سورة البقرة وغيرها من سور القرآن التي اضطرّت الدّراسة إلى الإحالة إليها،أحيانًا؛ إيمانًا من الدّراسة بوحدة النّصّ القرآنيّ وتماسكه، وأنّ التّمثّل بسورة من سور القرآن هو مجرّد فصلٍ إجرائيّ لتوضيح الظّاهرة ومظاهرها في عيّنةٍ يمكن دراستها والخروج بنتائج مرضيةٍ منها؛ فإن كانت قد وفّقت فبها ونعمت، وإن كانت الأخرى فحسبي أنّني اجتهدت في فهم كتاب الله ﷻ، ومحاولة الوقوف على مراده، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

- **أوّلًا: المصادر:**
- القرآن الكريم.
- **ثانيًا: المراجع:**
- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة،ط١، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، د ت.
- الأنباريّ، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين البصريّين والكوفيّين، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط١، المكتبة العصرية، بيروت،٢٠٠٣م.
- البغويّ، تفسير البغويّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- تحريشيّ، محمد، النقد والإعجاز: دراسة قرآنية، ط١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م.
- التفتازانيّ، سعد الدين مسعود، مختصر المعاني في البلاغة، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٦م.
- حسان، تمام، مقالات في اللّغة والأدب، ط١، ط دار الكتب المصريّة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- الحمزاوي، محمد، المصطلحات اللغوية العربية الحديثة في اللّغة العربيّة، ط١، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٧م.
- حميد، صالح، اليسير في اختصار تفسير ابن كثيرٍ، دار الهداة للنشر، جدّة، ١٤٢٦ هـ.
- الحياليّ، عدنان، إعراب الجمل الاستفهاميّة في القرآن الكريم، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٢٠م.

- الخـازميّ، أبـو الحسـن سـالم بـن الحسـن، إعـراب القـرآن ، المكتبـة الشّـاملة الذّهبيّة.
- الخرّاط، أحمد بن محمد، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنوّرة. ١٤٢٦هـ.
- الدّرويش، محيـي الـدين أحمـد مصـطفى، إعـراب القـرآن وبيانـه،ط٤. دار ابـن كثيرٍ، دمشق، بيروت،١٤١٥ هـ.
- راضي، محمد خلف الاقتصادي اللغوي ومظاهره الصّوتيّة في إسقاط الحركة في القراءات القرآنيّة: دراسةٌ في ضوء علم اللّغة الحديث، وزارة التّربية المديريّة العامّة للتربية، بابل، ٢٠٢٢م.
- الرّمّـانيّ، علـيّ بـن عيسـى أبـو الحسـن، النّكـت فـي إعجـاز القـرآن، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.
- الزّجّـاج، أبـو إسـحاق إبـراهيم ، معـاني القـرآن وإعرابـه المسمّى المختصـر فـي إعراب القرآن ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٧م.
- الزّيـد، عبـد الله بـن أحمـد بـن علـيّ، مختصـر تفسـير البغـويّ،ط١، دار السّـلام للنّشر والتّوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ.
- السّـعديّ، عبـد الـرحمن بـن ناصـر، تيسـير الكـريم الـرّحمن فـي تفسـير كـلام المنّان، العبيكان، الرياض، ١٩٨٨م.
- سـعيد، فضـيلة أحمـد مشـاهد القيامـة فـي القـرآن الكـريم، دار غيـداء للنشـر والتّوزيع، القاهرة، ٢٠١٥م.
- السّـكّاكيّ (ت ٦٢٦هـ)، يوسـف بـن أبـي بكـر بـن محمـد بـن علـيّ، مفتـاح العلوم،تحقيق: نعيم زرزور،ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السّلام هارون،ط٣، دار الجيل، بيروت١٩٨٨م.

- ابن سيده، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل، إعراب القرآن، المكتبة الشّاملة الذّهبيّة.
- السّيوطيّ، جلال الدّين، إعراب القرآن، المكتبة الشّاملة الذّهبيّة.
- صالح، عبد الرحمن الحاج، بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر. ٢٠٠٧م.
- الطّبريّ، أبو جعفر محمد بن جريرٍ، جامع البيان في تفسير القرآن، المطبعة الأميريّة، القاهرة، ١٩٠٥م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٦م.
- عبد الحميد، محمد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ط١، عالم الكتب، ٢٠١٠م.
- العبيديّ، خالد فائق صديق، القرآن منهل العلوم.، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- العكبريّ، أبو البقاء عبد الله، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (د.ت).
- غديري، وردة، سمات الاقتصاد اللغوي "دراسة وصفيّة تحليلية"، رسالة ماجستير، الحاج لخضر باتنة، ٢٠٢٢م.
- قباوة، فخر الدين، الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة ٢٠١١م.
- القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت،(د.ت).
- ابن كثيرٍ ، إسماعيل الدمشقيّ، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م.
- كلوماس، فلوريان، اللّغة والاقتصاد، ترجمة: أحمد عوض، ط١، علم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٠م.

- المبارك، محمد، فقه اللّغة وخصائص العربيّة، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، د ط، د ت.
- مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، د ط، ٢٠٠٤م.
- ابن منظور، جمال الدّين(ت٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق: رشيد القاضي، ط ١، دار الأبحاث، الجزائر، ٢٠١٢م.
- الميدانيّ (ت ٥١٨هـ)، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النّيسابوريّ، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
- النّحّاس، أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت،٢٠١٥م.
- الياسريّ، فاخر ، بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي، ، ط١، المنهل للنشر والتّوزيع، الأردن، ٢٠١١م.